الاستشراق الفرنسيّ و مقوّمات الهُويّة العربيّة الإسلاميّة

French orientalism and the fondations of arab-islamic identity

طالبة دكتوراه: غالي وهيبة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، wahiba.ghali27@gmail.com

أ.د.لطروش الشارف

تاريخ الاستلام: 2025/11/20 تاريخ القبول: 2025/12/17 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص: الاستشراق مصطلح يتمّ استخدامه لوصف مُجمل الدّراسات الّتي تتناول بالشّرح والتّحليل ثقافات الشّرق عامّة والثّقافة العربيّة الإسلاميّة خاصّة، من طرف الباحثين الغربيّين بمختلف جنسياتهم.

كما يمكن اعتباره أحد مناهج الإسقاط الغربيّ على الثّقافات الشّرقيّة بدافع السّيطرة عليها، فهو بهذا نوع من أنواع الغزو الثّقافيّ الغربيّ، وسَعي للتّحكّم في الشّرق عموما والمسلمين على وجه الخصوص، وذلك لأنّ جمهور المستشرقين وجد في الإسلام والقرآن الكريم ما فاق حضارتهم، فراحوا يتناولونه بالتمحيص والتّدقيق لفهمه وسبر أغواره لفهم كنه الهويّة العربيّة الإسلاميّة، باعتبار القرآن أحد أبرز مقوماتها.

لقد انكبّ المستشرقون الفرنسيون– على غرار باقي المستشرقين– على دراسة التّراث العربيّ الإسلاميّ مسلّطين الضّوء على مقوّمات الهويّة العربيّة الإسلاميّة كاللّغة العربيّة واللّهجات العربيّة ولقرآن الكريم كونه كتاب المسلمين الّذي يستمدّون منه شريعتهم.

كلمات مفتاحيّة: الاستشراق – الاستشراق الفرنسيّ– التراث العربيّ– التّراث الإسلاميّ–الهويّة العربية– الدّراسات الاستشراقيّة.

Abstract: Orientalism is a term used to describe the entirety of studies that explain and analyze Eastern cultures in general, and Arab-Islamic culture in particular, by Western researchers of various nationalities.

It can also be considered one of the methods of Western projection onto Eastern cultures with the aim of controlling them. Thus, it is a type of Western cultural invasion and an attempt to control the East in general, and Muslims in particular. This is because the majority of Orientalists found in Islam and the Holy Qur'an something that surpassed their civilization, so they began to examine and scrutinize it to understand it and explore its depths to understand the essence of the Arab-Islamic identity, considering the Qur'an as one of its most prominent components. French Orientalists—like other Orientalists—have devoted themselves to studying the Arab-Islamic heritage, highlighting the components of the Arab-Islamic identity, such as the Arabic language, Arabic dialects, and the Holy Qur'an, as it is the book of Muslims from which they derive their law .

Keywords: Orientalism – French Orientalism – Arab Heritage – Islamic Heritage – Arab Identity – Oriental Studies.

المؤلف المرسل: غالي وهيبة، الإيميل: wahiba.ghali27@gmail.com

1. مقدمة:

الغرض من التعريف بموضوع البحث هو ضبط المسائل وتحديد جوهرها وسبر أغوارها، والاستشراق كونه علما بدرجة العلوم الأخرى له أسسه، منهجه، مدارسه، دراساته أغراضه وروّاده. يجب على الباحث أن يعنى بتحديد مفهوم الاستشراق الذي لطالما شكّل جدلا لدى العلماء العرب والغرب والوقوف على معالمه، آفاقه وأطواره، يجب إذن أن ندرك ماهية الاستشراق وما كُنه هذه الظّاهرة، من هو المستشرق وما هي الأصول التاريخية لهذا العلم؟

لقد اختلف الباحثون في الإجابة عن هذه الأسئلة بدرجات متفاوتة، وعلى الدّارس أن يعمل على التّوفيق بين الآراء للوصول إلى تعريف جامع مانع. أمّا المفهوم اللّغويّ، فالواضح أن كلمة الاستشراق مشتقّة من الجذر شرق، يقال: "أشرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت"[1]، استنادا إلى قواعد الصّرف وعلم الاشتقاق، يبدو معنى كلمة استشرق "أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم"[2]، أو بمعنى آخر اتجه نحو الشّرق، أي صوّب وجهته نحو الشّرق، وقد ذكرت بعض المصادر اللغوية الحديثة أن معنى استشرق "طلب علوم الشرق ولغاتهم"[3].

وأما فيما يتعلق بالمفهوم الاصطلاحي أو العلمي، فلا يسعنا إلّا القول: إنّ الاستشراق هو تخصص باحثين غربيين في دراسة كل ما يتعلق بالشرق عامة والعرب المسلمين خاصة، هو علم نشأ في أحضان الحضارة الغربية واتخذ الحضارة الشرقية موضوعا له بصفة عامة وحضارة الإسلام بصفة خاصة، فبعدما كان يهتم في بداياته بكل الأمم الشرقية، بات اليوم اهتمامه ينصب على العرب المسلمين بخلاف الشعوب الأخرى.

قد لا يمكننا حصر مفهوم الاستشراق لأنه يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة ومتكاملة في الوقت نفسه، ففي بعض الأحايين يقصد به ذلك العلم الّذي يتناول بالدّراسة والتّحليل المجتمعات الشرقية عن طريق علماء الغرب، وأحيانا يراد به "أنه أسلوب من التفكير قائم على تمييز وجودي (أنطولوجي) و(إبيستمولوجي) معرفي بين الشرق و الغرب"[4]، أي أنه أحد أساليب الفكر يعمل

على الفصل أو إيجاد الفروقات المعرفية، الأيديولوجية والعرقية بين العالم الشرقي والعالم الغربي، ومرة أخرى يحدّد مفهومه بالباحثين الذين يقومون به، أي المستشرقين وهم "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر والحضارة الإسلاميّة"[5].

ولأنّ التّراث العربي الإسلاميّ يعدّ الطّريق الّذي سلكه الكثير من المستشرقين وخاصّة الفرنسيين منهم، لمعرفة العقلية العربيّة الشّرقيّة الإسلاميّة، وبالتّالي ضرب الهويّة العربية الإسلاميّة، سلّطنا الضّوء على الاستشراق الفرنسيّ واهتمامه بالتّراث العربيّ الإسلاميّ الّذي يمثّل أهم مكوّنات الهويّة العربيّة الإسلاميّة، محاولين من خلاله الإجابة عن الإشكالية التّالية: ما هي أهداف الاستشراق الفرنسيّ خاصّة وما هي أبعاده؟ كيف كانت دراسة الاستشراق الفرنسيّ للتّراث العربيّ الإسلاميّ؟ بم تختصّ الدّراسات الاستشراقيّة الفرنسيّة؟ وقد تناولنا ذلك بالتّحليل من خلال معالجة كاهتمامات الاستشراق الفرنسيّ بالتّراث العربيّ الإسلاميّ، وطريقة جمع المخطوطات الشّرقيّة واقتنائها في فرنسا، فخصائص الدّراسات الاستشراقيّة الفرنسيّة والّتي تمثّلت في كل ما له علاقة بالهويّة العربيّة الإسلاميّة مثل اللّغة العربيّة، الأدب العربيّ وغيرها من عناصر الهويّة، وأنهينا البحث بخاتمة كانت بمثابة حوصلة للنّتائج الّتي تمّ التّوصّل إليها، وقد اتّبعنا في ذلك المنهج التّحليلي.

2. مفهوم الاستشراق لدى المفكّرين العرب وأصحاب الاختصاص:

إن مفهوم الاستشراق في حدّ ذاته يشكّل موضع خلاف بين المفكّرين العرب أنفسهم والمستشرقين، فقد ذهب العلماء العرب في فهمهم للاستشراق مذاهب عدّة، وجدير بنا التّعريج على بعض منها للإحاطة بمفهوم العرب لهذا العلم.

فهذا أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي يعرّف الاستشراق قائلا: "يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشّرق وأممه ... ولكنّه في العصور الوسيطة كان يُقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدّين ودراسة العربيّة لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشّرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا ...بالعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه في غياهب الجهل ..."[6]، أي أن الاستشراق هو مجموعة المباحث التي تتناول بالدراسة الشعوب الشرقية لغاتها تاريخها وحضاراتها

وعاداتها وتقاليدها، لكن في بداياته كان يُعنَى فقط بدراسة اللغة العربية والعبرية وذلك في العصور الوسيطة، حيث كان الشرق مركزا للإشعاع العلمي، بينما كان الغرب في ظلمات الجهل، وهذا ما دفعهم لإفراز هذا العلم الذي يعنى بدراسة الحضارات الشرقية للإفادة منها وبناء آفاقهم على خطاها.

بينما يذهب "إدوارد سعيد" مذهبا بعيدا في فهمه للظاهرة الاستشراقية، إذ ينعت الاستشراق بوصفه "نمطا من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه"[7]، فهو بفهمه هذا يعدّ الاستشراق نوعا من السيطرة، ومظهرا من مظاهر السّلطة التي تمارسها الدول الغربية على الدول الشرقية، إلا أن هذه القوة ذات صبغة علمية، أي أن الاستشراق وسيلة اتخذها الغرب للتحكم في الشرق والمسلمين خاصة، محاولين بذلك طمس الهوية الإسلامية، لأنهم وجدوا في الإسلام والقرآن الكريم ما فاق حضارتهم، فالاستشراق بهذا يعد صورة من صور الغزو الثقافي الغربي، أي نوع من الاستعمار اللا مباشر.

أما بالنسبة لأصحاب الاختصاص وهم علماء الاستشراق أنفسهم، ومن بينهم "رودي بارت – Rudi Barth" والذي يعرف الاستشراق بأنه: "علم يختص بفقه اللغة خاصة"[8]، حسب هذا التعريف نستنتج أن للاستشراق عدة مجالات يتناولها بالدرس والتحليل إلا أن أغلب هذه الدراسات تختص بفقه اللغة، أي اللغات الشرقية وكل ما يمت لها بصلة.

في حين يرى المستشرق الألماني "ألبرت ديتريش – Albert Dietrich" أنّ المستشرق: "هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة ما لم يتقن لغات الشرق"[9]، فالمستشرق بهذا الاعتبار هو الباحث الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق بتاريخه، لغاته، آدابه، فنونه، حضارته وعلومه، لكن سلامة هذه الدراسة وصحتها تشترط إتقان هذا الباحث للغة الشرق والتخصص فيها وهي اللغة العربية[10]، اللغة التي يكتب بها كل التراث الشرقي الإسلامي، فالمستشرق لا يتمكن من دراسة التراث الفكري الإسلامي ما لم يتقن اللغة التي يكتب بها هذا التراث.

مهما تعددت الاختلافات وتضاربت الآراء، إلا أن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك المباحث والدراسات التي يقوم بها الغربيون حول قضايا الشرق تاريخه وحضاراته، هذا من ناحية مجالاته ومفهومه العلمي، بغض النظر عن أهدافه وأغراضه حيث يراه البعض أنه نوع أو أسلوب من الفكر يمارسه الغرب الممثّل في موجة المستشرقين بغية السّيطرة على الشّرق.

3. معنى الهويّة:

الحقيقة الّتي لا ينبغي تجاهلها ونحن بصدد الحديث عن مفهوم الهُوّيّة هو أنّها مصطلح حديث، لم تكن معروفة في ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة، ولم يعرفها العرب المسلمون إلاّ حديثا، وخير دليل على ذلك ممّا يزيح الشّكّ عن هذه الحقيقة هو خلوّ معجم "لسان العرب" و "المصباح المنير" و"القاموس المحيط" من هذا المصطلح الحديث، وبناءً على ما تقدّم ذكره يمكن القول إنّ الهُوّيّة مصطلح وافد إلى الثّقافة الإسلاميّة وليس أصيلا فيها، ممّا جعل نُخَبها المثقّفة تشتغل على البحث فيه لبيان كنهه ومفهومه.

إنّ الهُوّيّة موضوع ظلّ في مفترق طرق بين علم النّفس وعلم الاجتماع، فالهُوّيّة هي مشكلة نفسيّة وتجربة شعوريّة، وجوهر الهُوّيّة هو أن يكون الإنسان متطابقا مع ذاته وهي متعلّقة بجوهر الأشياء، بحيث يكون الشّيء هو هو، فهي تشير إلى جوهر الشّيء وحقيقته، وهي مجموعة المقوّمات الّتي تميّز جماعة من البشر عن غيرها وتشتمل على صفاتها الجوهريّة الّتي تبرز خصوصيّتها كاللّغة والتّاريخ والتّراث والفنون.

4. اهتمامات الاستشراق الفرنسيّ بالتّراث العربيّ الإسلاميّ:

طبقا للقرار الصادر عن المجلس الكنسي في فيينا عام 1312 م[11]، الذي نادى بتأسيس كراس جامعية لدراسة اللغات الشرقية، بما فيها اللغة العربية وأخرى للدراسات الإسلامية في جامعة السوربون بباريس، يمكن تحديد بداية الاهتمام الاستشراق الفرنسي بالشرق العربي الإسلامي وتراثه من مختلف جوانبه: التاريخية، الثقافية، الدينية واللغوية وغيرها من المجالات التي تشكّل موضوعات خصبة للدراسات الاستشراقية.

يعد هذا التاريخ أبعد بكثير مقارنة بالتاريخ الذي اعترفت فيه الأكاديمية الفرنسية رسميا بمصطلح الاستشراق وكان ذلك سنة 1838 م[12]، حيث بدأ الاستشراق آنذاك يشق طريقه نحو العلوم الإنسانية إلى أن استقر بمكانته وبات علما مستقلا بذاته له مدارسه، موضوعاته، رواده ومنهجه وغيرها من الأسس والمبادئ التي يبنى عليها أي علم من العلوم.

لقد كان اهتمام الفرنسيين سابقا بكثير لاعتراف الأكاديمية الفرنسية، وذلك منذ "سنة 1795 م حيث أنشأ الفرنسيون مدرسة اللغات الشرقية الحية"[13]، بعد أن وجدوا حضارتهم أحوج ما تكون إلى معرفة الحضارات والآداب الشرقية، خاصة العربية الإسلامية منها، للأخذ بتجاربها والسّير على خطاها نحو آفاق عالية.

لم ينقض القرن الثامن عشر حتى أصبحت فرنسا وجهة طلاب العلوم الشرقية، فتوافدوا إليها من كل أنحاء أوروبا ليتلقوا كل ما يتعلق بالآداب والعلوم الشرقية والعربية الإسلامية خاصة على يد المستشرق الفرنسي "**سلفستر دو ساسي** – Sylvestre de Sacy"[14]، والذي كان يلقب بشيخ المستشرقين[15] آنذاك، فقد كان أغلب المستشرقين الذين برزوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر من خريجي المدرسة الفرنسية.

إضافة إلى مدرسة اللغات الشرقية الحية، أنشأ الفرنسيون جمعيات شرقية كالجمعية الأسيوية في باريس سنة 1822 م[16]، تصدر لها مجلة تتعلق بكل القضايا الشرقية وتضم مجموعة لكل أعمال المستشرقين في سبيل اللغات الشرقية والدراسات الإسلامية، أي تلك التي يقوم بها المستشرقون حول المجتمعات العربية الإسلامية.

هكذا توسعت الاهتمامات الفرنسية بالآداب الشرقية كما "كانت لحملة نابليون بونابرت يد في تنشيط الآداب العربية في فرنسا، ولا سيما بعد أن جاء إلى مصر وجلب معه بعضا من رجال العلم، يستعين بهم في فهم الخلفية الإسلامية العربية"[17]، والذين ساهموا في نقل الكثير من نتاج المسلمين من علوم إلى فرنسا و أوربا عامة.

كحركة منهجية وعلمية للاطلاع على العلوم الشرقية والعربية خاصة، لجأ الفرنسيون إلى جمع المخطوطات العربية وضمها إلى مكتباتهم ليتمكنوا من دراسة وتحليل العلوم العربية الإسلامية والأخذ بنواصيها.

5. جمع المخطوطات الشرقية واقتناؤها في فرنسا:

مع بداية الحركة الاستشراقية في أوربا، أول ما اهتم به الغربيون والفرنسيون خاصة للاطلاع على العلوم الشرقية هو التراث العربي الإسلامي المخطوط كونه يعبر عن الحضارة العربية الإسلامية في شتى مجالات العلم.

فقد حرص ملوك فرنسا على إرسال بعثات إلى البلاد العربية لجلب مخطوطات تراثها الفكري، فجاءت المبادرة الأولى من الملك فرونسوا الأول، الذي بعث المستشرق **غيوم بوستل** – Guillaume Postel [18] (1510-1581) لشراء المخطوطات من الشرق، فكانت وجهته الأولى إلى مصر ومن ثم إلى اسطنبول، ذلك أنها كانت تستقطب التراث العربي الإسلامي أيام الحكم العثماني، كان أهم مخطوط جلبه آنذاك هو تاريخ أبي الفدا[19].

يعد عهد الملك لويس الرابع عشر هو العهد الذي شهد اهتماما كبيرا بجمع المخطوطات العربية، حيث قام الملك لويس الرابع عشر بإيفاد عدة بعثات إلى الشرق الإسلامي لشراء المخطوطات[20]، بغية تصنيفها، فهرستها، تحقيقها ومن ثم حفظها في المكتبة الوطنية، حتى تكون زادا معرفيا لمن يطلب علوم الشرق الإسلامي، ومن أهم المخطوطات التي ظفر بها من خلال هذه البعثات مخطوطة من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان[21]، إنّ هذه الجهود المبذولة من قبل الملك لويس الرّابع عشر لاقتناء المخطوطات الشرقيّة، إنّما يدلّ على تشجيعه للاستشراق والمستشرقين، والأهمّ من ذلك اهتمامه بالعلوم الشّرقية بغية الإفادة منها.

لقد كانت البعثات إلى الشرق الإسلامي لجلب تراثه الفكري المخطوط في تزايد مستمر، ويعود الفضل في ذلك إلى الملك لويس الرابع عشر ووزيره **كلبير** – Colbert،

االلذين عكفا على شراء المخطوطات الشرقية والإسلامية العربية منها، والتي وصلت سنة 1674 م إلى ستمائة مخطوط إسلامي، بينها ثلاثمائة وخمسة وتسعون مخطوطا عربيا[22].

لم يكن جمع المخطوطات من الشرق من قبل الفرنسيين عشوائيا، باعتبار التراث العربي الإسلامي المخطوط شمل كل العلوم، بل كانت البعثات القادمة من فرنسا بأمر من الملك لويس الرابع عشر ووزيره تبحث عن المخطوطات التي تندرج ضمن تخصصها، فمثلا المخطوطات الطبية كانت تكلف بجمعها البعثة التي تتكون من أطباء، وهكذا الحال بالنسبة لبعثات العلوم الأخرى.

تواصلت الجهود لجمع المخطوطات الشرقية من قبل الملك لويس الرابع عشر ووزيره كلبير، فقد تعدى جمعهم للمخطوطات العربية عن طريق إرسال البعثات إلى الشرق، إلى اقتناء بعض المخطوطات من المكتبات الخاصة بالمستشرقين وضمها إلى المكتبة الملكية أحيانا وإلى مكتباتهم الخاصة أحيانا أخرى.

بعد موت الملك لويس الرابع عشر، تولى الملك لويس الخامس عشر (1715م – 1774م)[23] عرش فرنسا عمل على سياسة من سبقوه في تنمية المخطوطات الشرقية بالمكتبة الملكية، فأرسل بعثة إلى تركيا سنة1731 م، جمع من خلالها ستمائة مخطوط أكثرها عربي وهكذا ظلت المخطوطات العربية في تضاعف إلى أن مات الوزير كلبير، وضمت مكتبته الشرقية سنة 1732م إلى المكتبة الملكية، وكان عدد مخطوطاتها قد بلغ مائتان وستة وأربعون مخطوطا عربيا، فارسيا وتركيا[24]، وكانت هذه المخطوطات من أنفس ما تضم المكتبة الملكية.

وما إن تولى **لويس السادس عشر** (1774 م – 1793 م) عرش الملك حتى قلت تلك الحماسة في اقتناء المخطوطات الشرقية التي اتسمت بها العهود السابقة، و لم تقتن المكتبة الملكية إلا مجموعات قليلة من المخطوطات العربية إضافة إلى بعض المخطوطات التي كانت تعرض في المزاد العلني[24].

لم تأت نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حتى قام نابليون بونابرت بحملته العسكرية على مصر سنة1798 م، والتي كشفت أسرارا كثيرة كانت مجهولة عن مصر وبلاد العرب عامة، مما

جعل أحد المستشرقين الفرنسيين يصفها "بأنها تطبيق للاستشراق"[25]، أي أن كل ما كانوا يجمعونه من مخطوطات وما يقومون به من دراسات استنادا إلى تلك المخطوطات ليس إلا دراسات نظرية بحاجة إلى تطبيق وقد جسدته الحملة النابليونية.

لقد كان من أثر الحملة على فرنسا ودراساتها الاستشراقية، أن نابليون قد صحب معه في حملته مجموعة من العلماء الذين قاموا بمخالطة المصريين وانتهزوا الفرصة لتعلم اللغة العربية، ما مكنهم من الاطلاع على التراث الفكري العربي، ولما عادوا إلى فرنسا عملوا على نشر اللغة العربية في الأوساط الفرنسية ونشر ما تعلموه من علوم من خلال اطلاعهم على نتاج المسلمين العرب في مصر من علوم.

لقد كانت البعثة التي رافقت نابليون أيضا تعمل على جمع المخطوطات وإرسالها إلى فرنسا، "وكانت أكثر تلك المخطوطات في الطب، الفقه والنحو، ومن بينها أيضا نسخة من مقامات الحريري"[26].

أما الزيادة الحقة في عدد المخطوطات الإسلامية فكانت في القرن التاسع عشر، في الفترة نفسها التي احتلت فيها فرنسا الجزائر وذلك سنة 1830 م، وفي سنة 1834 م أهدت إحدى كليات الجزائر ثمانية عشر مخطوطا عربيا إلى وزير الحربية الفرنسي[27]، وهو بدوره أرسلها إلى المكتبة الوطنية في فرنسا، إضافة إلى المخطوطات العربية، الفارسية والتركية التي كانت قد جمعتها بعثة نابليون من مصر.

استمر جمع المخطوطات الشرقية خاصة العربية منها، واستمرت الإضافات إلى المكتبة الوطنية، واختلفت طريقة اقتناء هذه المخطوطات وجلبها فمنها ما كان يتم شراؤه عن طريق إيفاد بعثات إلى الشرق ومنها ما كان يقدم لهم كهدية من المعاهد الشرقية ومنها ما كانوا يجلبونه بطرق غير شرعية.

لقد كان التراث العربي الإسلامي المخطوط هو المادة الخام التي عمل عليها الغرب والفرنسيون خاصة وأعادوا من خلالها صياغة أفكارهم وتراثهم الفكري عامة، فقد كانوا يحرصون على صيانة تلك المخطوطات المتوفرة لديهم وفهرستها في ضوء التقنيات العلمية الحديثة،

وتصنيفها وتحقيقها وفق قواعد علمية مضبوطة كان قد وضعها المستشرقان الفرنسيان **ريجي بلاشير** – Régit Balchère (1900 م - 1973 م)[28] **وجان سوفاجيه**[29] – Jean Souvage(1901 م - 1950 م)[30] ، في كتاب بعنوان "قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها"[31]، وذلك ليكون دليلا يتبعه المستشرقون ومن أجل توحيد منهج العمل لديهم في تحقيق المخطوطات العربية ونشر ترجمات لها.

لقد كان لقواعد منهج تحقيق المخطوطات أثر إيجابي على أعمال المستشرقين، ما جعلهم يحرصون كل الحرص على تصحيح ما في المخطوطات من تحريف، "كما حرصوا على شرح ما هو غامض فيها إضافة إلى وضع فهارس للأعلام والأماكن والكتب"[32]، فقد أسهم هذا المنهج في تحقيق المخطوطات الشّرقيّة في حماية هذه المخطوطات من الزّوال والاندثار أو الإهمال.

6. خصائص الدراسات الاستشراقية الفرنسية:

لطالما شكلت المدارس الاستشراقية موضع جدل لدى الباحثين فعمدوا إلى تصنيف الدراسات الاستشراقية خاصة تلك المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، فمنها ما هو أقرب إلى الإنصاف ومنها ما يتصف بالإجحاف في حق الإسلام والمسلمين.

أمّا فيما يخصّ المدرسة الفرنسية، فقد أجمع الباحثون العرب على أنها الأقرب إلى الموضوعية مقارنة بالمدارس الأخرى، فهي على حد تعبير يوسف أسعد داغر: "تتميز بالوضوح والإفصاح والجلاء في التعبير والدقة في البحث"[33]، فالمستشرق الفرنسي يحاول على الدوام أن يقدم أوضح صورة عن الموضوع الذي يبحث فيه دون لبس أو غموض.

لم تختص الدراسات الاستشراقية في فرنسا بمجال معرفي معين بل شملت كل العلوم، و لم تترك ميدانا معرفيا شرقيا إلا تناولته بالبحث والنقد والتمحيص، فالمدرسة الاستشراقية الفرنسية حققت إنجازات ودراسات جليلة حول التراث العربي الإسلامي، جعلت الاستشراق الفرنسي في المقدمة ومن جملة خصائصها نذكر:

1.6– المجلات:

إضافة إلى المعاهد والجامعات التي خصصتها فرنسا للدراسات الاستشراقية الإسلامية وكذا المكتبات الشرقية تلك المتواجدة بالمكتبة الوطنية بباريس، والتي تحتوي على ست ملايين من المخطوطات والكتب من بينها سبعة آلاف مخطوطة مكتوبة بالعربية، أنشأت فرنسا في مجال الدراسات الاستشراقية مجلات متخصصة في هذا المجال، يصدر معظمها من العاصمة الفرنسية باريس والشرق الأدنى وشمال إفريقيا وأشهرها : (صحيفة العلماء) التي تصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس كل ثلاثة أشهر وتخص الدراسات العربية الإسلامية بنصيب كبير فيها، ومنها المجلة الآسيوية التي سبق وذكرناها، وهي تصدر عن الجمعية الآسيوية الفرنسية من باريس، كانت في بداية صدورها تحت رئاسة المستشرق سلفستر دوساسي وهي تعنى بصفة خاصة بالثقافة العربية وفنونها وكذا المجلة الإفريقية التي تصدر عن الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر منذ عام 1856 م، وأيضا المجلة التونسية، مجلة تاريخ الأديان ومجلة الدراسات الإسلامية التي صدرت في باريس عام 1727 م تحت إشراف المستشرق **لويس ماسينيون** – Louis Massignon (1883 م - 1962 م) وبمشاركة معاهد فرنسية أخرى للدراسات الإسلامية، كالمعهد الفرنسي للدراسات الاستشراقية في دمشق[34].

2.6– اللغة العربية:

لقد كان للغة العربية حظ وافر في الدراسات الفرنسية الاستشراقية، إذ اهتم المستشرقون الفرنسيون بدراسة فقهها، نحوها وآدابها حيث تخصص الكثير منهم فيها، وذاع صيتهم لما أنتجوه من أعمال ودراسات في هذا المجال، فهذا المستشرق سلفستر دوساسي قضى حياته في خدمة اللغة العربية بالتعليم والنشر والتأليف، من أهم مؤلفاته كتاب (النحو العربي) وكتاب قراءة آخر اسمه (الإنس المفيد للطالب المستفيد)، طبع في باريس سنة 1728 م، وهذا المستشرق غيوم بوستل ألف كتاب (قواعد اللغة العربية)، كما زاول تدريس اللغة العربية بجامعة فيينا، وله كتاب أيضا بعنوان (عادات وشريعة المسلمين) وكتاب (وصف القاهرة)[35].

وهذا المستشرق **كاترمير** – Quatermère[36] (1782 م - 1857 م) أحد تلامذة دوساسي، ينشر بمقدمة نقدية دقيقة (مقدمة ابن خلدون) في ثلاثة أجزاء، ويصنف كتابا بعنوان

(اللغة العربية وآدابها وجغرافيتها)، وهذا **دي سلان** –De Slane[37] المتوفى سنة 1879 م، ترجم (ديوان امرئ القيس) وكتاب (وفيات الأعيان لابن خلكان)[38] وغيرها من الأعمال والدراسات الاستشراقية حول اللغة العربية مما يضيق المقام لذكرها.

بناء على هذا يتبيّن لنا جليّا أنّ اهتمام المستشرقين الفرنسيين بدراسة اللّغة العربيّة كان عميقا ومتعدّد الأوجه، مدفوعا بعوامل ثقافيّة، علميّة، ودينيّة. والجدير بالذّكر في هذا المقام هو أنّ هذه الدّراسات أسهمت في إحياء اللّغة والأدب العربيّين، بالرّغم من أنّ بعض إن لم نقل أغلب هذه الجهود المبذولة في دراسة اللّسان العربيّ، كانت تحمل في طيّاتها أهدافا خفيّة مشبوهة، كالتّشكيك في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، أو تسهيل السّيطرة والهيمنة الاستعماريّة من خلال إلحاق الضعف باللّغة والتّراث.

3.6– اللّهجات العربية:

لقد كان للهجات العربية العامية نصيب من الدراسات الاستشراقية الفرنسية، حيث شهد النصف الأول من القرن العشرين اهتمام الفرنسيين باللهجات العربية خاصة المغاربية منها، ومن أبرز الدراسات في هذا المضمار هي تلك التي قام بها المستشرق الفرنسي **وليام مارسيه**[39] – William Marçais (1872 م - 1956 م) والتي تتعلق باللهجات: المغربية، الجزائرية والتونسية، و في ظل هذا الاهتمام البالغ باللهجة العربية العامية، لم يهمل مارسيه اللغة العربية الفصحى، حيث كان يلقي حولها محاضرات بـــ "الكوليج دي فرانس - Collège De France".من أعماله الرئيسة حول اللغة العامية كتابه (نصوص تكرونة العربية) والذي نشره بباريس سنة 1925 م[40].

كان اهتمام الفرنسيين باللهجات العربية العامية، في تزايد مستمر إلى أن بدأوا نوعا ما في الاستغناء عن اللغة العربية الفصحى بحجة صعوبتها، إلا أن هذا المشروع في أصله كان استعماريا، يرمي إلى إبعاد الفصحى التي تشكّل الوحدة اللغوية بين العرب، وإدخال العامية بديلة لها والتي تختلف من بلد عربي إلى آخر، وبالتالي التفرقة بين الشعوب العربية، والأخطر في هذا المشروع أنه يرمي إلى القضاء على لغة القرآن وهي العربية.

4.6- الأدب العربي:

تعددت الدراسات الفرنسية حول الأدب العربي بما فيه من شعر ونثر، خاصة الأدب الجاهلي حيث قاموا بتأليف كتب حول تاريخ الأدب العربي، من أهم الدراسات والأعمال في هذا الصدد كتاب (تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي) للمستشرق الفرنسي ريجي بلاشير ونشر أيضا رسالته التي أعدها للدكتوراه بعنوان (شاعر عربي من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أبو الطيب المتنبي)[41].

الملاحظ على هذه الدراسات حول الأدب العربي، أنها انصرفت إلى دراسة الأدب القديم دون الحديث، إضافة لتلك الدراسات كانت هناك ترجمات من قبل مستشرقين لكتب أدبية عربية مثل :" ترجمة كتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة وترجمة كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم، هذا بالنسبة للنثر"[42].

أما فيما يتعلق بالشعر فقد كانت هناك محاولات ضئيلة عملت على ترجمة الأشعار العربية سواء كانت قديمة أو حديثة، نذكر منها: ترجمة ديوان (المعبد الغريق) لبدر شاكر السياب للمستشرق الفرنسي أندريه مكيل[43] – André Miquel.

5.6 – الدراسات الإسلامية:

كان للدراسات الإسلامية حصة الأسد في مجال الدراسات الاستشراقية، فقد شهدت إقبالا منقطع النظير من قبل المستشرقين مقارنة بالموضوعات الأخرى، حتى بات المستشرق هو ذلك الباحث في القضايا الإسلامية.

كان للدرس الإسلامي علماؤه ومتخصصوه من المستشرقين فمنهم من انصرف إلى دراسة المذاهب الإسلامية ومنهم من اهتم بالتصوف مثل لويس ماسينيون الذي قام بعدة دراسات حول شخصية الحلاج، وكان نتاجها كتابه الذي أسماه (عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية) وله مقالات في هذا الصدد نذكر منها المقال الذي نشر في مجلة العالم الإسلامي[44] بعنوان: (الحلاج الشبح المصلوب والشيطان عند اليزيدية)[45].

لقد توالت الدراسات الاستشراقية حول القضايا الإسلامية، فمنها ما تعرض بالدرس للإسلام والشعوب الإسلامية ومنها ما تناول السيرة النبوية، ومنهم من انصرف إلى الخطاب القرآني بالترجمة أو الدراسة.

أهم ما بحث فيه المستشرقون الفرنسيون في الدراسات القرآنية هو التأريخ للقرآن، أي البحث عن نزوله، تدوينه، أدواره، لهجاته وقراءاته، وأهم من كتب في هذا الجانب المستشرق ريجي بلاشير صاحب الدراسة المعنونة بـــ: (القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره) ودراسة أخرى بعنوان (مدخل إلى القرآن – Introduction au Coran) كما قدم ترجمة للقرآن الكريم سنة 1950 م، رتب فيها الآيات والسور حسب النزول[46].

تناول المستشرقون الفرنسيون كل ما يتعلق بالمجتمعات الإسلامية من إسلام وقرآن وسيرة نبوية كما تناولوا عقليات الشعوب الإسلامية، وكان المستعرب أو المستشرق **جاك بيرك** – Jaques Berque (1910 م – 1995 م) قد سيطر بجدارة على هذا الميدان عندما بدأ بدراسة العادات والعقليات المغربية، وقام بمعالجة المسائل الإنسانية المتعلقة بالشعوب، وأهم عمل انتهى إليه في مجال الدراسات القرآنية هو ترجمة لمعاني القرآن الكريم.

7. خاتمة:

لَم يَعُد الاستشراق عامّة والاستشراق الفرنسي خاصة في صبغته الجديدة يعتمد على القضايا العلميّة والأدبيّة و اللّغويّة كما كان معروفا عنه في القرن الثّامن عشر عند تناوله بالدّرس للثقافات الشّرقيّة وأعلامها، بل بات في ظلّ هذا الزّخم التّكنولوجي حربا إعلاميّة، وثقافيّة، وفنيّة. حيث نجد أنّ الغرب لا يضيّع فرصة إلا وانتهزها لتوجيه ضربات إلى الثّقافة العربيّة الإسلاميّة بمختلف مقوّماتها.

أمّا فيما يخصّ العرب المسلمين وموقفهم من الاستشراق، فنجدهم يقفون منه ثلاثة مواقف، أمّا الموقف الأوّل فيتمثّل في الرّافضين له رفضا قطعيّا وكل ما أفرزه من دراسات باعتباره سياسة استعماريّة، أمّا فيما يخصّ القسم الثّاني فهو الموقف المؤيّد و المنبهر و المولَع بكلّ

ما أنتجه الاستشراق و المستشرقون، وأخيرا الموقف الثالث والّذي وقف أصحابه موقفا وسطا كونه تقبّل ما كان حقّا وأيّده بالدّليل، ورفض ما كان باطلا وردّ عليه بالدّليل، وحذّر منه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد حيدر ع.. *لسان العرب* (م 10). بيروت – لبنان: دار الكتب العلميّة (2005).
2. بدوي ع. ا.. *موسوعة المستشرقين*. بيروت – لبنان: دار العلم للملايين (1939).
3. جورجي ز.. *تاريخ آداب اللغة العربية*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية(1994).
4. دراجي م. *الاستشراق والدراسات القرآنية*. الجزائر: دار البلاغ للنشر و التوزيع.
5. درويش أ. *الاستشراق الفرنسي والأدب العربي*. القاهرة – مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (2004).
6. ساسي س. ا. نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية. بيروت – لبنان: دار المدار الإسلامي(2002).
7. سمايلوفتش أ. *فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر*. القاهرة – مصر: دار الفكر العربي(1998).
8. صالح حمدان ع. ا. *طبقات المستشرقين*. مكتبة مدبولي.
9. عباس محمد ح. س. *جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره*. الاسكندرية – مصر: دار المعرفة الجامعية (2007).
10. العقيقي ن. *المستشرقون*. مصر: دار المعارف(1980).
11. محمد حسين ع. ا. *المستشرقون والدراسات القرآنية*. بيروت – لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع(1983).

8. قائمة الإحالات:

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد 10، ط 1، 1424 ه، 2005 م، ص 207.

2- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط 1998م، ص 22.

3- أحمد سمايلوفتش، المرجع نفسه، ص 22.

4- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، الجزء 01، ط 1، 2002 م، ص 20.

5- ساسي سالم الحاج، المرجع نفسه، ص 22.

6- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 27.

7- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص 20.

8- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 23.

9- محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 01، 1403 ه، 1983 م، ص 11.

10-نظر، المرجع نفسه، ص 11،

11-عباس محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ط 1، 2007 م، ص 11.

12-المرجع نفسه، ص 31.

13-جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،5 تقيم: إبراهيم صحراوي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر الجزء 04، د.ط، 1994 م، ص 264.

14-كان أستاذا للغات الشرقية الحية، وكان أستاذا للغة الفارسية في " كولاج دي فرانس"، وباقتراح منه تأسست المجلة الآسيوية، من أعماله: كتاب "النحو العربي".

15-ينظر، جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص 265.

16-لمرجع نفسه، ص 265.

17-هو من الأوائل الذين كلفوا باقتناء المخطوطات الشرقية في فرنسا، تعلم اللغة التركية والعربية، من أعماله: كتاب "نحوا عربيا" سنة 1539 م.

18-ينظر، عباس محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره، ص 30/29/28.

19-ينظر، المرجع نفسه، ص 30.

20-ينظر، المرجع نفسه، ص31.

21-ينظر، المرجع نفسه، ص 32.

22-نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط 03، 1980م، ص 155.

23- عباس محمد حسن سليمان، المرجع نفسه، ص 35.

24-ينظر، المرجع نفسه، ص 35.

25-نفسه، ص 35.

26-نفسه، ص 35.

27-ينظر، المرجع نفسه، ص 37.

28-نفسه، ص 101.

29-تعلم اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، نال شهادة الليسانس في اللغة العربية، ثم الدكتوراه سنة 1941 برسالة "عن مدينة حلب".

30-عباس محمد حسن سليمان، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره، ص 101.

31-المرجع نفسه، ص 101.

32-نفسه، ص 102.

33-أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 222.

34-ينظر، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب االاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص 109/108.

35-عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 03، 1939 م، ص 88.

36-عني بالتاريخ الإسلامي، من أعماله بحث بعنوان "أبحاث نقدية وتاريخية عن اللغة والأدب في مصر".

37-متخصص في تاريخ البربر في شمال إفريقيا، له دراسة عن ابن خلدون.

38-ينظر، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص 111/110.

39-اهتم باللغة البربرية واللهجة العربية المغربية، كان ناظرا للمدرسة العليا بالجزائر، له ترجمة لديوان "أوس بن حجر التميمي".

40-ينظر، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص 111/110.

41-ينظر، أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2004 م، ص 28/27.

42-ينظر، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص 112.

43-ينظر، أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص30.

44-ينظر، عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، د.ط، د،ت، ص 191/190.

45-هم عبدة الشيطان، في شمالي العراق، يدعون إلى الانتساب إلى يزيد بن معاوية، ويقيمون حتى الآن في أحد جبال العراق اسمه جبل "سنجار".

46-ينظر، محمد دراجي، الاستشراق والدراسات القرآنية، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 20/19.